

اسم المادة: في البيت

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

اسم المادة: في البيت
من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بخير وإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ومرحبًا بكم ولقاء جديد مع لقاءتنا التربوية والمنهجية مع سنة حبيبنا المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.

وقفتنا اليوم نبدأ بها مع هذا الحديث:

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: خَدَمْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ ما قالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قالَ لي لِشيءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"[1]

وفي رواية: قال: فَخَدَمْتُهُ في السَّفَرِ والحَضَرِ، ما قالَ لي لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هذا هَكَذا؟ ولا لِشَيءٍ لَمْ أصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هذا هَكَذا؟"[2]

الحقيقة هذا الحديث من الأحاديث يعني التي لها موقع عظيم جدًا في القلب، يعني كلما قرأته أو وقفت عليه أجدني أقف أمامه ولا أستطيع أن أتجاوزه تجاوزًا عابرًا، الكلام طبعًا على خلق النبي –صلى الله عليه وسلم– معين لا ينضب "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم:٤، لكن المشهد ده تحديدًا أراه في قمة الإعجاز في الكمال الخلقي، عايزك تتخيل كده المنظر:

في أنت عايش مع إنسان، وعايشين مع بعض في الدائرة القريبة اللصيقة، علاقاتنا البشرية هي عبارة عن دوائر؛ في دائرة قريبة جدًا، دائرة أوسع، دائرة أوسع، دائرة أوسع، لحد ما هتلاقي في بعض الدوائر اللي مفيش فيها لقاء أصلًا، كلما كانت الدائرة يعني فيها من السعة مناطق التماس والالتقاء بعيدة مما لا شك فيه الاحتكاكات بتكون قليلة، وبناء عليه يصعب جدًا إن الواحد يكون هناك له اطلاع على حال إنسان مع هذا البعد، ويصعب أيضًا إن يكون هناك نقاط التقاء فيها تصادم كلما كان هناك بعد، إنما مع القرب الشديد بتبص تلاقي إن العلاقات بتكتر، وبتبص تلاقي مناطق الالتقاء بتكتر، ومناطق المشاكل بردك بتكتر، فبناء عليه؛ أنت ممكن تكون في إنسان أنت بتحبه جدًا وبتحترمه جدًا، كل ده وأنت بتعامل معه في الدايرة البعيدة، نظرتك له بتتغير تمامًا عندما تتعامل معه من المنظور القريب، أنت مثلًا كنت شايفه في موضع معين، مكانة معينة، حبيت فيه صفات معينة، كل ده وأنت من برة، اتعاملت معه في الجانب معين، أول ما تبدأ تحتك معه عن قربه، وتبدأ تكتر مناطق الالتقاء بينكم، ويبدأ يكون في هناك مواقف أكتر وأكتر بينكم، في كثير من الحالات بتتغير نظرتك تمامًا، في كثير من الحالات ممكن نظرة ألم لما تطلع أنت عليه من أمور لم تكن تراها عن بعد.

[1] صحيح مسلم
[2] صحيح البخاري



دائمًا الدائرة القريبة اللصيقة بيكون فيها اطلاع على دواخل النفس أكتر، وحقائق الإنسان أكتر، الإنسان ممكن يكون طيب وكريم، ومعاملاته مع الناس كويسة جدًا ممكن جدًا، لكن لما تيجي تتعامل معاه في الدائرة القريبة ممكن يظهر لك من الأشياء ما قد يعكر صفو هذه الصورة البراقة، خاصةً لما يكون الأمر في احتكاك ضروري زي علاقة الأب بابنه، علاقة الأخ بأخوه، علاقة الزوج بزوجته، لازم مهما كان هذا الإنسان كويس طالما أنت بتحتك بيه هيطلع لك حاجة مش كويسة، مهما كان هذا الإنسان فيه من الخير العظيم لابد في حاجات هتضايقك منه، ومهما كان هذا الإنسان فيه من السعة الخلقية، وفيه من الفضائل، لابد إن في حاجة بينكم وبين بعض هتعكر صفو هذه المعاملة.

أنا عايزك بقى بعد هذه المقدمة تعالى ننتقل للمشهد ده:

سيدنا أنس تربى في بيت النبي –صلى الله عليه وسلم–، عاش معه عشر سنين كاملة، أمه –رضي الله عنها– أتت به وهو صبي صغير وجاءت به للنبي –صلى الله عليه وسلم– وقالت: خويدمك أنس، أنا جبتلك أنس يخدمك يا رسول الله، فكان لصيقًا برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، تعامل معه عن قرب شديد.

هو يحكي لنا طرفًا من هذه العلاقة الطويلة، تخيل عشر سنين، عشر سنين لم يعشها في نقاط التقاء بعيدة، عاشها عن قرب لصيق، يلاصق حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، يطّلِع على دواخله ودواخل بيته، يطّلِع على ما لا يطّلِع عليه غيره.

سيدنا أنس تفرَّد برواية الأحاديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتفرَّد هو بنقل سنن عن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يحكها غيره لشدة التصاقه برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، حياته كانت مرتبطة بحياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، مع هذا القرب الشديد، وهذا المدى الزمني البعيد، عشر سنين كاملة تعامل معه النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذا الخلق العظيم، عشر سنين وهو يخدمه لم يتأفف منه قط، مقالوش كلمة أف، عشر سنين لم يقل له لِمَ فعلت كذا؟ ولا لِمَ لَمْ تفعل كذا؟

تاني، قبل ما تنظر لهذا المشهد أنا عايزك تنقل نفسك أنت لمشهد من مشاهد القرب اللي أنت عشتها، مشهد قربك أنت من الآخرين أو قرَّب الآخرين منك، راجع أنت كده عشر سنين في حياتك، بلاش عشر سنين خليها سنة واحدة بس، شوف حياتك أنت مع الدايرة القريبة، سواء أنت اللي كنت معاهم أو هم اللي كانوا معاك، ازاي إن أنت في العشر سنين دول، هل يا ترى في دوائر الاحتكاك القريبة منك يا ترى كان فيه فعلًا مناطق من الإزعاج المتبادل منك أنت وهو؟ يا ترى كان في حاجات أنت بتضايق الناس أو الناس بتضايق منك؟ يقينًا آه، هل يا ترى كان في مواقف في حياتك من الدائرة القريبة منك وأنت كنت منزعج جدًا وابتديت تشتكي منها بشدة، وابتديت تعلق عليها أو بيكون في كمان أحيانًا حِدة وأحيانًا مناطق صدام؟ ده أكيد، ده أغلب مشاكلنا أصلًا في دوائرنا اللصيقة هي في الدائرة دي؛ دائرة الأشياء الصغيرة المزعجة، حد من عيالك عمل حاجة أزعجتك، أنت حاجة مثلًا في زوجتك حصل موقف أزعجك، أنت عملت حاجة أزعجت والديك وهكذا، الدايرة القريبة دهي لابد يقينًا هيكون في حاجة يحصل فيها إزعاج، أو ضيق، أو ضجر، أو على الأقل التأفف أبسط حاجة خالص، تخيل أنت بقى عشر سنين كاملة سيدنا أنس وجد هذا الخلق العظيم من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، عشر سنين كاملة مفيش مرة تأفف من فعل واحد، واحد بس فعله سيدنا أنس أو غيره في خلال عشر سنين، عشر سنين كاملة لم يكن منه اهتمام شديد بما يفعله أو ما لا يفعله، لم يقل له لم فعلت؟ ولا لِمَ لَمْ تفعل؟

هل معقولة في عشر سنين كاملة مصدرش إن سيدنا أنس عمل حاجة يكون فيها يعني مش هقول إزعاج بس على الأقل حاجة يعني تكون محتاجة يعني إن أنت كده ليه أو ليه يعني أكيد حصل، يعني سيدنا أنس سواء منه أو من غيره لابد هيكون في شيء مزعج، هيكون في شيء يستدعي، أنت يا ابني معملتش كده ليه؟ أنت يا فلان معملتش كده ليه؟ أنتِ معملتيش كده ليه؟ يقينًا، يقينًا ده موجود، لكن كان هذا هو خلق النبي –صلى الله عليه وسلم–، أعظم خلق، وأرفع خلق هذا، هو الكمال البشري الذي ننظر إليه عندما ننظر إلى المنظور الأخلاقي، هذا هو الخلق العظيم.



بعد ما تستوعب النقطة دي كويس أنت محتاج تنظرله من منظور آخر ألا وهو؛ طيب هذا الخلق العظيم لماذا نَّطلع نحن عليه؟ لمجرد الاعجاب والانبهار والتعظيم، لحد كده فقط؟ لأ، النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما نسمع عن خلقه، ونسمع عن تعاملاته، ونسمع، كل هذا في إطار تشريعي، في هناك أشياء فعلًا من خصائص النبي –صلى الله عليه وسلم– ونحن لا نطالب بها، له خصائصه وهذه معروفة، يعني شيء اختص به النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم نؤمر نحن بمتابعته فيها، زي ايه؟ زي مثلًا:

- قضية إن هو يتزوج أكثر من أربع نسوة، خلاص ده شيء خاص به.
- قضية وصاله في الصوم، ونحو هذا مما يسمى بالخصائص؛ خصائص النبي –صلى الله عليه وسلم–.

طب فيما عدا ذلك في هناك جانب عظيم وهو الجانب الأكبر مما وردنا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو جانب تشريعي، فعندما ننظر إلى هذا لاحظ بقى دي، هو مش مجرد بس جانب التعظيم لجناب النبي –صلى الله عليه وسلم–، هذا جزء، والجزء الآخر هو دوري أنا في فهم هذا في إطار التشريع ليّا أنا كإنسان مكلف بمتابعة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

يا ترى كم واحد فينا يقدر يقف مع هذا النص من هذا المنظور؛ المنظور التشريعي؟ ازاي أنت هتتعامل في الدايرة القريبة اللي معاك في ضوء هذا النص؟ يا ترى تقدر فعلًا تطبق هذا النص ولو جزئيًا في حياتك ودايرتك اللصيقة؟ تقدر تقولي في قد إيه في حياتنا هيتغير لو التقطنا هذا الملمح الجميل الرائع في الخلق العظيم بتعامل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع الدايرة اللصيقة؟ طب قبل ما تنظر للمنظور دا، تعالى نسأل نفسنا كده هو كم واحد فينا فعلًا عنده اهتمام أصلًا بالدايرة اللصيقة؟

احنا في طبعتنا بنتجمل للخارج، يعني أنا في بيتي عايش براحتي سواء من الناحية الظاهرية أو من الناحية الباطنية، يعني في الظاهر بتاعي أنا بأخذ أحسن هيئة في اللبس ونحو هذا وأنا برة البيت، طب وأنا جوه البيت؟ أكيد محدش فينا يهتم انه يلبس أحسن لبس وبيهتم إن هو يبقى مهندم والكلام ده كله، فالتزين عندي والتكلف هو للخارج وليس للداخل، لذا ستجد أغلبنا هو جميل ظاهريًا برة، طب وجوة؟ مش هقولك إنك وحش يعني بس مانتاش على هذا الحال من التكلف، أنت لا تتكلف لمن في الداخل كما تتكلف لمن في الخارج، وبناء عليه ممكن تلاقي الإنسان اه بيعامل الناس برة كويس، خلقه كويس، ممكن بيكون بيعدي، بيفوِّت للناس برة، ما هو أكيد وأنا في حياتي مش همشي أتخانق مع طوب الأرض، أكيد اللي برة بيزعجوك، أكيد اللي برة بيؤذوك، أكيد اللي برة بينرفزوك، أكيد ده يقينًا، بس هل أنا في حياتي هفضل مع الناس برة أنت عملت وأنت سويت وأنت رحت وأنت جيت؟ محدش هيخلص، فاحنا في نوع من أنواع، يعني النص غير المكتوب في تعاملاتنا مع بعضنا البعض في الخارج إن احنا مبيحصلش تصادم إلا في الحاجات الكبيرة في الغالب، طبعًا في استثناءات يعني في ناس مخها صغير وبتقف للناس على الواحدة، سيبك من دول، أنا بتكلم على عومنا، عمومنا بنتجمل في الظاهر.

طب تعالى ننقل في البيت: هل يا ترى نحن بهذا الجمال داخل البيت؟

للأسف لأ، لأ، بل مش بس إن احنا مش حاطين في دماغنا يعني مش ما بنعملوش ده احنا ولا في دماغنا أصلًا، يعني احنا مش في دماغنا إن احنا نتكلف لمن هم في الداخل كما نتكلف لمن هم في الخارج.

طيب لو ابتعدنا عن نطاق التكلف تعال نشوف بس نطاق ضيق كده؛ نطاق التحمل، هل يا ترى نحن نتحمل من في الداخل كما نتحمل من في الخارج؟

بردو لأ، نحن نحتمل لمن في الخارج أضعافًا مضاعفة، وأما من هم في الداخل فللأسف عند كثير منا تنقلب الآية، يعني اللي قاعد مع اللي برة بيستحمل منهم كذا وكذا وكذا، وممكن واحد برة يعني يؤذيه أذى شديد وهو بيفوت ويعدي، الأذى الرهيب اللي أنت بتتحمله برة أنت لا تتحمل عشر معشاره لمن هو في الداخل.



ممكن تلاقي الواحد مثلًا مع أهل بيته واقف لهم بالمرصاد أنتم عملتم وأنتم سويتوا وأنتِ في اليوم الفلاني قلتِ كذا، وأنت في اليوم الفلاني عملت كذا، ومع اللي برة عادي يعني مش هيقف، بيقولك يا عم هنقف لبعض على الواحدة، طب أنت ليه مش بتقف للي برة على الواحدة وبتوقف للي جوة على الواحدة؟ ليه ميبقاش عندنا هذه السعة الخُلقية، وهذا الجمال الخلقي في الداخل كما لدينا في الخارج؟

يا ترى فهمت بقى ازاي اللقطة دي جت لنا، هذه اللقطة الداخلية من حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، نحن نعلم خلق النبي–صلى الله عليه وسلم– عظيمًا جدًا فعلًا في الخارج، لكن الأعظم والأعظم هذا المنظور الداخلي، يعني تعامل النبي –صلى الله عليه وسلم– بالسماحة واللين "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" آل عمران:١٥٩، دا شوفناه فعلًا في الخارج، وشوفنا آثار عظيمة جدًا لتعامله –صلى الله عليه وسلم– حتى مع من يؤذيه، لكن هذا المشهد الداخلي مشهد معجز فعلًا ده إعجاز خُلقي، عشر سنين يا مؤمن، عشر سنين مفيش مرة قال أف! لم يتأفف، ايه السعة، ايه الجمال ده، ايه السعة الخُلقُية دي! ايه السعة النفسية دي! ازاي عشر سنين كاملين لم يبدي هذا التأفف! ازاي عشر سنين لم يكن هناك هذا التضجر! معنى هذا أنه كان يحتمل منهم بسعة عظيمة جدًا، يقينًا فعلًا كان في حاجة بتغضبه، مبنقولش لأ، يقينًا كان في حاجة بتحصل بيكون فيها شيء من التقصير، يعني سيدنا أنس أيضًا يحكي لنا في يوم من الأيام أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أرسله في حاجة، وسيدنا أنس كان صغير السن فالتقى بعض الصبيان فجلس معهم يلعب وتأخر عن حاجة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فالتقاه النبي –صلى الله عليه وسلم–، هل يا ترى لامه؟ عنفه؟ عاقبه؟ أنا واحد من الناس أنا لو أرسلت ابني في مشوار، واتأخر عليّ وراح يلعب أكيد أنا هعاقبه عقاب شديد، لا والله قال: يا أنس هل ذهبت في حاجتك؟ مجرد، يعني شفت اللطف واللين.

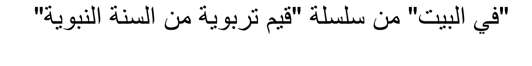
يا ترى هل كان لا يحدث له شيء مثلًا أيضًا مما يزعج في حياته؟ أكيد كان موجود، لكن انظر لهذا الكرم، انظر لهذه السعة النفسية العظيمة هذا اعجاز والله، يعني لما نيجي ننظر لهذا المنظور، أنا كل اللي طالبه منك متنظرلوش بس ما تقفش عند منطقة الانبهار وتنسى منطقة التعبد، أنت متعبد أيضًا بأن تقتفي أثر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأن تنهل من معينه، وأن تكون على سنته؛ فمن سنته –صلى الله عليه وسلم– الرحمة بالخارج وبالداخل، ومن سنته أن يكون –صلى الله عليه وسلم– في رفقه ولينه مع الخارج وأضعاف أضعافه في الداخل، كان –صلى الله عليه وسلم– كريم الخلق، ولا ينسى أن تتسع دائرة كرم خلقه حتى تشمل الداخل بل ومن في الداخل هم أولى.

احنا بننسى اللقطة دي، مش عايزك تنساها أبدًا، طب معنى كده هل أنا مطلوب مني إن أنا يعني لا أعاتب مثلًا في البيت، لا أعاقب ميبقاش فيه، لا محدش قال كده، أنا لا أطلب منك هذا بل لاحظ كل واحد منا له درجة من درجات المسؤولية عن هذا الداخل "كلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"[3] أنت مطالب بإن أنت تقوِّم الخلل، ومطالب بإن أنت يكون لك وقفة مع كل الدوائر بتاعتك، لو كان فيه شيء من الخلل بتصلحه، عوُج بتضبطه، بل من الواجب عليك أحيانًا أن أنت تعاقب من يكون فيه من التقصير ونحو هذا، بس أنا عايزك تاخد بالك إن احنا بنقوم بالدور ده كويس، دور ايه؟ دور الرقيب، دور المعاقب بنقوم به كويس، لكن دور الرحيم للأسف عايز ضبط، كلنا نقع في هذا المزلق إن احنا مش عارفين نسع الداخل كما نسع الخارج، عايزك تضبط بس المعادلة أن أنت زي ما أنت بتقوم بدورك الرقابي، دورك العقابي، متنساش دور الرحمة، الرحمة، ازاي دور الود والمحبة، ازاي يكون عندنا السعة الخُلُقية، أنت أصلًا حياتك في الداخل لم تمر إلا إذا كان عندك هذه السعة.

ليه ميكونش عندنا برضه شيء من التغافل، يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– اه لما ما كان يقول أف، ولا كان يقول لمَ فعلت هذا ولم تفعل هذا، ده كان فيه جزء اللي هو فعلًا الارتقاء، يعني ما نصغرش دماغنا مع كل صغيرة وكبيرة، في حاجات كان يقف معها النبي –صلى الله عليه وسلم

---

[3] صحيح مسلم





عليه وسلم– ويبقوِّم الخلل، ويبقوّم العوج، في حاجات تانية بقى دايرة المباحات، دايرة المباحات دي عظيمة، متقفش على الواحدة، إذا كان في حد من حدود الله هينتهك، في خطأ في تقصير في واجب اه هنا أنت محتاج تقف وقفة عظيمة، لكن في أمور تانية، أمور بسيطة، حصل تقصير في حاجة بسيطة في أمور الدنيا بسيط نعدي.

كثير من المشاكل الزوجية أصلًا لو أنت حطيت فلسفة التغافل دي كمنهج كده محطوط بين الاثنين، والله كثير جدًا من مشاكلنا تختفي، وللأسف كثرة الوقوف مع نقاط التماس الصغيرة دي هي اللي بتؤدي لمشاكل أكبر بعد كده، يعني لما نقعد نتخانق هنا على النقطة الصغيرة دي، بعد كده نتخانق هنا على النقطة الصغيرة دي، بعد كدا نتخانق هنا على النقطة الصغيرة دي، نقطة صغيرة مع نقطة صغيرة، مع نقطة صغيرة هتعمل فجوة، بتعمل جفوة، بتقطَّع كثير من حبال الوصل ما بين الأرواح، لما نتغافل بقي أنت هتعدي وأنا هعدي، أنت هتسيب أنا هسيب الأمور بتعدي، بتبص تلاقي بيوتنا بقت سكن، احنا افتقدنا السكن في بيوتنا وده أحد الجوانب، أحد الجوانب اللي بنفتقد به السكن؛ افتقاد الرحمة.

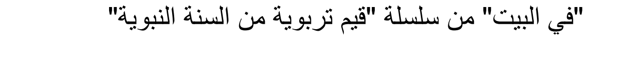
وبرضه هوقفك على مشهد آخر أيضًا من حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، اسمع لهذا الحديث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأعْرَابِ علَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقالوا: نَعَمْ، فَقالوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ ما نُقَبِّلُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: وَأَمْلِكُ إنْ كانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ. وقالَ ابنُ نُمَيْرٍ: مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ".[٤]

وفي رواية: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّ الأقْرَعَ بنَ حَابِسٍ، أَبْصَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الحَسَنَ فَقالَ: إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ، ما قَبَّلْتُ وَاحِدًا منهمْ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنَّه مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ.[٥]

حط السياق ده مع السياق اللي احنا كنا بنتكلم فيه، شوف ازاي النبي –صلى الله عليه وسلم– اهتم جدًا بهذا المشهد، مشهد ايه؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقبِّل بعض أبنائه؛ الحسن والحسين، فلما أبصره بعض الأعراب شافوا مشهد غريب شوية على بيئتهم، طب نرجع نشوف بس إيه البيئة اللي هم عايشين فيها؟ بيئة العرب أصلًا كانت بيئة فيها خشونة، بيئة صلبة، حياة الصحراء قاسية، وحياة الأعراب اللي هم عايشين في البادية فيها خشونة، وفيها قسوة، هذه الخشونة وهذه القسوة انعكست على ايه؟ انعكست على حياتهم، حتى مع بعضهم البعض، شيء طبيعي الحياة الجافة الصلبة بتحتاج من الإنسان بردو إنه يكون جاف وصلب، هو مش هيقدر يعيش في هذه الحياة القاسية، الحياة الصحراوية الجافة دي بنفسية هشة أو بنوع من أنواع اللين كده في الحياة، مش هتحصل، لازم حياته هتكون فيها شيء من الإيه من الشدة التي تتناسب مع طبيعة الحياة اللي هو البيئة اللي هو عايش فيها، لكن لاحظ هو ده انعكس بردو عليه في علاقاته، بقت حياته من الشدة والجفاف لدرجة إن الواحد منهم لا يقبل أبناءه، ومش بس كده كمان ده وصل به الحال إن واحد زي الأقرع بن حابس لما بيقوله "إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ"، يقول لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنا عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم واحدًا أبدا، تخيلوا عنده عشر عيال مفيش مرة غلط وقبل ابنه قبلة!

طيب لو جينا نشوف كده من المنظور العام للحياة وايه المشكلة يعني؟ يعني ايه المشكلة إن في واحد ما بيبوسش عياله؟ ايه حجم المأساة اللي في الموضوع ده؟ أقولك ايه حجم المأساة اللي في الموضوع دا؛ حجم المأساة دي إن الإنسان لما يصل به هذا الأمر في تعامله مع الدايرة اللصيقة به، ولا يكون في قلبه رحمة بهم، هذا إنسان عبارة عن جحيم، هو نفسه جحيم، ولما هو يبقى كده والطبع العام يبقى كده دي حياة لا تليق أصلًا بعبد يفقه عن الله وعن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.


[٤] صحيح مسلم
[٥] صحيح مسلم



حياة المؤمن الحياة اللي فيها الاتصال الروحي، الحياة، الرقي الروحي، لا يفهم هذا الإنسان مفهوم الرحمة إن لم يطبقه أصلًا في الدايرة اللصيقة، يعني اللي ما بيرحمش عياله كيف يرحم من هو أبعد؟ يعني ألصق إنسان به مين؟ ابنه، فلما هيصل هذا الإنسان لهذه القسوة وهذا الجفاف مع ابنه هيتعامل الإنسان مع هو أبعد، وكيف تكون شكل الحياة إن نزعت منها هذه الرحمة؟

علشان كده النبي -صلى الله عليه وسلم- ما قال لهم لا لازم تعملوا كذا، لازم تقبلوا أبنائكم وخلوا بالكم، لأ ده كان في هناك يعني رد فعلًا، رد فيه يعني نوع من الزلزلة، أوأملك أن نزع الله منكم الرحمة؟ مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، هل هم فعلًا أجرموا عشان وصلوا لكده، أنت متخيل واحد يصل به الحال أن تنزع من قلبه الرحمة، ما هو اللي مش هيرحم عياله هيرحم مين؟ واللي مش هيبقى في قلبه الرحمة للدائرة القريبة هيعمل ايه مع الدايرة الخارجية؟ هذا النمط كان يحتاج إلى أن يكسر وده اللي حصل، كسر النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا النمط اللي هم كانوا متعايشين به ومتعارفين عليه، وكسر أي إنسان هيضع أي نمط بعقله أو بعادته ويخالف ما أراده الشرع.

طيب ما هو يمكن يكون مثلًا مش يُقبِّل عياله، لكن ماشي معاهم كويس بيراعيهم كويس، أقولك لا يمكن، الرحمة ده عمل قلبي، وما يكون من آثار الرحمة زي القبلة والحضن والكلام ده كله ده مجرد آثار للعمل القلبي، اللي مش قادر إن هو يعمل العمل الطبيعي ده، يا أخي -سبحان الله- الإنسان الطبيعي لما بيشوف أي عيل حتى لو مش من عياله قلبه بيتحرك بالرحمة له، ويبقى عايز يطبطب عليه، وعايز يحضنه، فتخيل بقى واحد وصل به القسوة والجفاف انه ما بيطبطبش على ابنه، هذا قلب يحتاج إلى علاج حاسم.

أرجع وأقول لك: ألقط اللقطة دي كويس علشان لما تحطها بقى في الإطار اللي احنا بنتكلم فيه الإطار العام، عندما تنضبط علاقتنا الداخلية وتؤسس على هذا الإطار الجامع؛ الرحمة، السكن، المودة، التغافل عن الصغائر، وجود هذه النفسية الواسعة لتقبل الآخرين بعيوبهم، ما أنت اللي حواليك لهم عيوب؛ وأنت لك عيوب، إذا كانوا هم بيؤذوك؛ ما أنت بتأذيهم، لما يكون في بيننا هذا التغافل والتراحم، ووجود هذه النفسية اللي بنسع بعضنا البعض، ونحط ايه الإطار اللي اه نقف له وقفة، وإيه الإطار اللي يكون فيه سعة، إيه الإطار اللي محتاج مننا أن احنا نتحرك فيه فعلًا بقوة، والإطار اللي ممكن نعديها مفيش مشكلة، لما تؤسس هذه البيوت من جواها على هذه المنهجية اللي بتتعامل فعلًا تعاملًا واقعيًا مع الطبيعة البشرية، ويكون النص فعلًا ده بيؤسس لكيفية ضبط النفسية داخل البيت، هينصلح الداخل، وإذا انصلح الداخل هينصلح الخارج.

البيت اللي هو اللبنة بتاعة المجتمع، لو المجتمع ابتدا يتأسس من جوه على هذه المنهجية، صدقني البيت ده هينتج بعد كده أفراد في المجتمع قادرين إن هم يأسسوا مجتمع يقدر إن هو يعيش في منظومة، هذه المنظومة؛ هي منظومة التعبد لله -سبحانه وتعالى-، اللي هيطلع به المجتمع اللي احنا بنتكلم عليه، المجتمع مش هينصلح بمجرد بس قانون يتكتب أو شيء يتحط كده في لافتات دعائية، لن ينصلح حالنا إلا إذا انصلحت بيوتنا، وانصلاح البيت بيكون انصلاح من الداخل، وانطلاق من الدوائر الداخلية، عندما تنضبط كل هذه الدوائر ستجد ما تبغيه الحياة الطيبة.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

